محنة المسلمين في البلقان

(٢)

ومع ضعف الدولة العثمانية زادت محنة المسلمين في البلقان إذ استأسد الأعداء عليهم وقد لمحوا ضعف حُماتهم العثمانيين، فأخذوا يُخطّطون للانتقام منهم بالإبادة أو التنصير أو على الأقل إذلالهم وتقتيل رجالهم واستحياء نسائهم ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠].

أخذت الدولة العثمانية بعد عثمان الثالث بالدخول في دور الانحطاط إذ ظهرت الهزيمة النفسية، وأصبح تقليد الأوربيين والسير على منهجهم أمراً يُسعى إليه، ويُفتخر به، وغدا استقدام الضباط للتدريب، وإرسال البعثات أمراً قائماً، كما برزت فكرة القومية التي مزّقت الدولة.

وزاد الأثر اليهودي بظهور يهود الدونمة الذين اختفوا وسط المجتمع بأسماء إسلامية، وأول الخلفاء العثمانيين في هذه المرحلة:

٢٦- مصطفى الثالث:

وهو ابن الخليفة أحمد الثالث، وتولّى بعد ابن عمه عثمان الثالث، تولّى عام ١١٧١هـ (١٧٥٧م). أرادت الدولة العثمانية تأديب الروس قبل أن يستفحل أمرهم ففشلت، واحتلّ الروس بعدها إقليمي الأفلاق والبغدان، وأخذ الروس يُثيرون النصارى من الروم الأرثوذكس الذين يعيشون في الدولة العثمانية، فثار سكان شبه جزيرة المورة. واقتحمت روسيا القرم وفصلتها عن الدولة العثمانية، وجرت مفاوضات للصلح بواسطة النمسا ولكنها فشلت، وعادت الحرب، وانتصر العثمانيون.

٢٧- عبد الحميد الأول:

تولّى الخلافة بعد وفاة أخيه مصطفى الثالث عام ١١٨٧هـ (١٧٧٣م)، وفي أيامه انتصر الروس على العثمانيين فطلب القائد العثماني الصدر الأعظم الصلح والمفاوضة فتمّ ذلك في مدينة قينارجة في بلغاريا عام ١١٨٧هـ اعترفت فيها الدولة العثمانية باستقلال تتار القرم، وإقليم بسارابيا، ومنطقة قوبان على أن تكون الدولة العثمانية المرجع في الشؤون الدينية، وتكون لروسيا حرية الملاحة في البحر الأسود، والمتوسط، وتدفع الدولة العثمانية

لروسيا غرامة حربية، ويكون لروسيا حق حماية النصارى الأرثوذكس من رعايا الدولة، وتبني كنيسة في استانبول.

احتلت روسيا بلاد القرم، وكادت الدولة العثمانية تدخل الحرب ضد روسيا لولا نصائح فرنسا.

أعلنت الدولة العثمانية الحرب على روسيا عام ١٢٠٠هـ (١٧٨٥م)، وأعلنت النمسا الحرب على الدولة العثمانية تضامناً مع روسيا، وهُزمت النمسا أمام العثمانيين.

٢٨- سليم الثالث:

وهو ابن الخليفة مصطفى الثالث، وتولّى الخلافة بعد وفاة عمه عبدالحميد الأول عام ١٢٠٣هـ (١٧٨٨م).

اتحدت الجيوش النمساوية والروسية ضدّ العثمانيين، فتمكنت روسيا من الاستيلاء على الأفلاق والبغدان وبسارابيا، واستطاعت النمسا احتلال الصرب ودخلت بلغراد.

لم يطل اتفاق الروس والنمساويين، وحرص إمبراطور النمسا على مصالحة الدولة العثمانية، وأُعيدت نتيجة الصلح للعثمانيين بلاد الصرب وذلك عام ١٢٠٥هـ (١٧٩٠م).

استمرت روسيا في حربها للدولة العثمانية، واستولت على بعض المدن، وتوسطت بريطانيا، وهولندا، وبروسيا للصلح بين الطرفين، فكانت معاهدة (ياسي) عام ١٢٠٦هـ أخذت روسيا بموجبها بلاد القرم نهائياً، وبسارابيا، وجزءاً من بلاد الشراكسة، وبعض المناطق الأخرى.

ساءت العلاقات بين الدولة العثمانية وفرنسا لنزول نابليون بونابرت في مصر ومحاولته السيطرة على المنطقة، ثم اضطر الفرنسيون للانسحاب من مصر، وعادوا للمفاوضات مع العثمانيين لإعادة التفاهم وتحسين العلاقات، وتأييد امتيازات فرنسا السابقة في الدولة العثمانية، وخرجت بريطانيا من مصر أيضاً، وأقيم في اليونان جمهورية مستقلة تحت حماية الدولة العثمانية بالاتفاق مع روسيا.

احتلت روسيا إقليمي الأفلاق والبغدان دون إعلان الحرب، وتضامنت بريطانيا مع روسيا.

واقترحت بريطانيا على الدولة العثمانية بعض المطالب، ورأى الخليفة أن يقبل تلك الطلبات غير أن فرنسا دعمت الدولة العثمانية وطلبت منها عدم التنازل لبريطانيا فرفض الخليفة

اقتراحات بريطانيا، وساءت العلاقات. وثار الجنود وعزلوا الخليفة.

٢٩- مصطفى الرابع:

وهو ابن الخليفة عبد الحميد الأول، تولّى السلطة بعد عزل ابن عمه سليم الثالث عام ١٢٢٢هـ (١٨٠٧م)، وتحسّنت العلاقات أيامه مع روسيا مدة سنتين.

عُزل الخليفة عام ١٢٢٣هـ، وتولّى مكانه أخوه محمود الثاني.

٣٠- محمود الثاني:

عقد صلحاً مع بريطانيا عام ١٢٢٤هـ، وحاول مع روسيا لكنه فشل، واندلعت الحرب بين الطرفين، وهُزم العثمانيون، واستولى الروس على بعض المواقع، وعُزل الصدر الأعظم الذي هُزم، وأُعطي أحمد باشا الصدارة العظمى فانتصر على الروس، واستعاد المواقع التي خرجوا منها.

طلبت روسيا الصلح من الدولة العثمانية، وعُقدت بين الطرفين معاهدة (بخارست) التي نصت على بقاء الأفلاق والبغدان والصرب تابعة للدولة العثمانية، وبسارابيا لروسيا. وثار الصرب عندما علموا بمعاهدة بخارست لبقائهم تابعين للعثمانيين غير أن

الدولة قد أخضعتهم بالقوة، وفرّ زعماء الحركة إلى النمسا، وأظهر أحدهم وهو تيودورفتش الولاء للدولة العثمانية ثم أعلن العصيان عام ١٢٣٠هـ (١٨١٤م)، واستمرت المعارك بينه وبين العثمانيين سنتين، وكانت سجالاً، وأعلن بعدها الخضوع للدولة العثمانية على أن لا تتدخل في شؤون الصرب الداخلية.

قامت الثورة في اليونان ضد العثمانيين عام ١٢٣٥هـ (١٨١٩م)، وأخيراً أخضع إبراهيم بن محمد علي باشا والي مصر اليونانيين، ودخل أثينا عام ١٢٤١هـ (١٨٢٤م)، وتدخلت الدول الأوربية، ثم عُقد الصلح مع الدولة العثمانية، وكانت معاهدة (آق كرمان) في ٢٨ صفر ١٢٤٢هـ (٣٠ أيلول ١٨٢٦م) وأخذت الدول الأوربية تتدخل بشؤون الدولة العثمانية، واتفقت بريطانيا وفرنسا وروسيا على قتال الدولة العثمانية وأرسلت أساطيلها إلى السواحل اليونانية فُهزم العثمانيون، وانسحب إبراهيم باشا من اليونان بعد أن دُمّر الأسطول العثماني وأكثر الأسطول المصري، وقُتل ما يزيد على ثلاثين ألف جندي مصري، واحتجّ الخليفة فلم يجده ذلك، وأصدر للرعية بياناً أن القتال يجب على المسلمين للدفاع عن عقيدتهم، وخصّ بذلك روسيا التي تأثّرت من ذلك

وأعلنت الحرب على الدولة العثمانية في ١١ شوال عام ١٢٤٣م (٢٥ نيسان ١٨٢٨م).

عقدت الدول الأوربية الثلاث (بريطانيا-فرنسا-روسيا) مؤتمراً في لندن ودعيت إليه الدولة العثمانية فرفضت الحضور، وقرر المؤتمر إعلان استقلال اليونان، وتُحكم من قبل حاكم نصراني، تنتخبه هذه الدول ويكون تحت حمايتها. وتدفع اليونان جزيةً سنويةً للدولة العثمانية، ولكن الدولة رفضت المؤتمر وقراراته.

أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية واحتلت إقليمي البغدان والأفلاق وجعلت عليهما حاكمين من قبلها، واجتازت نهر الدانوب، وحاصرت مدينة (فارنا) البلغارية الواقعة على البحر الأسود، ثم دخلتها نتيجة خيانة في أول ربيع الثاني ١٢٤٤هـ (١٠ تشرين الأول ١٨٢٨م)، وكذلك احتلّت مدينة (قارص) في شرقي الأناضول، ثم تقدّمت من ناحية الغرب، واحتلت مدينة (أدرنة)، وخشيت بريطانيا وفرنسا من احتلال استانبول حرصاً على مصالحهما، فوقفتا في وجه روسيا، وعُقدت معاهدة (أدرنة) في منتصف شهر ربيع الأول ١٢٤٥هـ (١٣ أيلول ١٨٢٩م)، وأهم ما جاء فيها:

١- يعدّ نهر (بروت) الحد الفاصل بين الدولتين (العثمانية وروسيا).

٢- تكون الملاحة في نهر الدانوب عند مصبه من حق الدولتين.

٣- حرية الملاحة الروسية في البحر الأسود.

٤- إعادة الأفلاق والبغدان، ودوبروجة، والبلقان، والبلغار، وقارص، وأرضروم للدولة العثمانية.

٥- لا تفتش السفن الروسية أثناء مرورها في المضائق العثمانية.

٦- تعوّض الدولة العثمانية لروسيا مبالغ كمصروفات حرب.

٧- يُطلق سراح الأسرى الذين عند الدولتين.

٨- تستقل بلاد الصرب، ويُعطى ما بقي من أجزائها للدولة العثمانية.

٩- تُعاد الامتيازات القنصلية الروسية، ورعايا روسيا لهم المعاملة نفسها التي لرعايا الدول الأوربية الأخرى، وكذا الامتيازات.

وخشيت الدول النصرانية من سيطرة محمد علي باشا على الدولة العثمانية وإعادة القوة إليها، فأرسلت روسيا خمسة عشر ألف جندي لحماية استانبول، وخافت بريطانيا وفرنسا من وجود قوة روسية في استانبول فطلبتا من الخليفة ضرورة التفاهم مع واليه محمد علي.

وأثناء وجود القوات الروسية في استانبول عقدت روسيا مع الدولة العثمانية معاهدةً جانبيةً عُرفت بمعاهدة (خونكاراسكله سي) تعهدت فيها روسيا بالدفاع عن الدولة ضد جيوش محمد علي أو أي معتدٍ، وبذلك أصبح بإمكانها التدخل في شؤون الدولة الخاصة.

وتوفي الخليفة العثماني محمود الثاني في ١٩ربيع الثاني عام ١٢٥٥هـ (الأول من تموز ١٨٣٩م).

٣١- عبد المجيد الأول:

تولّى الخلافة بعد وفاة أبيه.

تقدمت الدول الأوربية (روسيا - بروسيا - النمسا - فرنسا - بريطانيا) بلائحة مشتركة تطلب من الخليفة الجديد ألا يقرّ موضوعاً في شأن يتعلق بوالي مصر دون الرجوع إليها، فقبل الخليفة اللائحة. وظهر التباين في وجهات نظر الدول الأوربية حسب مصالحها.

ثار سكان الأفلاق والبغدان رغبةً في تأسيس دولة واحدة تشمل الإقليمين مع إقليم ترانسلفانيا فأرسلت الدولة العثمانية قوة لإعادة الوضع إلى ما كان عليه، وأسرعت روسيا واحتلت الإقليمين، واحتجت الدولة العثمانية، وكادت تقع الحرب بينها

obeikandl.com

وبين روسيا ثم جرى اتفاق (بلطه ليمان) قرب استانبول عام ١٢٦٥هـ (١٨٤٩م)، وينص على أن يبقى حق تعيين أمراء الإقليمين من حق الدولة العثمانية، وأن يبقى فيهما جيش عثماني -روسي لمدة سبع سنوات.

وقع الخلاف بين فرنسا وروسيا بشأن حماية الكنائس في بيت المقدس.

احتلت روسيا إقليمي الأفلاق والبغدان فأرسلت الدولة العثمانية قوةً أجبرتها على الانسحاب.

دمّرت الأساطيل الروسية في البحر الأسود القطعات العثمانية.

وقع الخلاف بين فرنسا وبريطانيا من جهة وروسيا من جهة أخرى.

جرى اتفاق بين الدولة العثمانية وفرنسا وبريطانيا على محاربة روسيا وكان ذلك في ١٢ جمادى الآخرة عام ١٢٧٠هـ (١١ آذار ١٨٥٤م)، ووقعت الحرب بين الطرفين في البر والبحر، وشاركت كثير من دول أوربا في القتال ضدّ روسيا، وانتهت بمعاهدة باريس وتنص على:

١- تُخلى المناطق التي احتلت أثناء الحرب من كلا الطرفين.

٢- حرية الملاحة في البحر الأسود للدول جميعاً، ولا تُنشأ فيه قواعد بحرية لا عثمانية ولا روسية.

٣- حرية الملاحة في نهر الدانوب.

٤- يبقى إقليما الأفلاق والبغدان تحت حماية الدولة العثمانية.

٥- تبقى الصرب مرتبطة بالدولة العثمانية.

وأوجدت الدول النصرانية مشكلات في الصرب، والجبل الأسود، والبوسنة لتفصلها عن الدولة العثمانية، وبدأت الثورات تندلع وتمنع الدول الأوربية الدولة العثمانية من إخماد هذه الثورات بتهديد الدولة، بل كانت الدول الأوربية هي التي تدعم هذه الثورات وأصبح سفراء هذه الدول شركاء في السلطة. وكذلك أُثيرت مشكلة في جزيرة كريت.

وتوفي الخليفة عبدالمجيد الأول في ١٧ ذي الحجة عام ١٢٧٧هـ (١٨٦١م)، وتولّى بعده أخوه عبدالعزيز.

٣٢- عبدالعزيز:

أظهر الميل نحو روسيا لتقدّم دول أوربا الغربية ببعض التنازلات للدولة العثمانية في سبيل إبعادها عن روسيا، ولكنه عزل عام

١٢٩٣هـ (١٨٧٦م)، ثم قُتل، وأُشيع أنه انتحر، وتولّى الخلافة بعده مراد الخامس بن عبدالمجيد (ابن أخي عبدالعزيز).

٣٣- مراد الخامس:

وعُزل بعد ثلاثة أشهر، وأُشيع أن عزله كان بسبب اختلال في عقله.

٣٤- عبدالحميد الثاني:

وهو أخو مراد الخامس، وابن عبدالمجيد الأول.

وبرزت في عهده العصبيات القومية لتجزئة أوصال الدولة، فظهر مركز القومية العربية في بيروت، وتُحركه الإرساليات التنصيرية، وظهر مركز القومية الطورانية (التركية) في استانبول وتُحرّكه عناصر يهود الدونمة، وتُوجّهه الدول الأوربية ما دام الهدف تجزئة الدولة.

وجد الخليفة العمل إلى الجامعة الإسلامية لجمع الأمة والردّ على أصحاب العصبيات وإظهار الذين يحرّكون التحّركات المشبوهة من الخلف، وهذا ما جعل صواب الدول الأوربية يطيش وتخرج عن مسار العمل السياسي فاتجهت إلى دعم الفئات التي تبنّت العصبيات ودفعتها للتحرّك كما أثارت الشعوب غير المسلمة

والأقليات أيضاً، كما أنها أخذت تشيع الشائعات الكاذبة ضد الخليفة.

ثار النصارى في بلاد البوسنة والهرسك بتحريض الصرب ونصارى الجبل الأسود غير أن ثورتهم قد أخمدت وعولجت باللين كي لا يكون هناك مجال لتدخّل الدول الأوربية، وهذا ما شجّع الذين ثاروا إلى الحركة ثانية، ولكن قمعت حركتهم أيضاً.

وثار البلغار بتأثير الجمعيات التي قامت تعمل لنشر النفوذ الروسي وتدعمها روسيا والنمسا ولكن الدولة العثمانية قضت على هذه الثورة، وانتشرت الشائعات المغرضة عن جرائم نُسبت للجنود العثمانيين، كما أُشيع أن الدولة تريد إقطاع الشراكسة أراضي بلغاريا بعد أن غادر الشراكسة ديارهم بعد سيطرة الروس على بلادهم.

وثار الصرب وسكان الجبل الأسود وشجّعتهم روسيا والنمسا وألمانيا للقيام بحرب ضد العثمانيين إذ كانت روسيا تريد توسعة حدودها من جهة بلغاريا، والنمسا تريد توسعة حدودها من جهة البوسنة، والبوشناق سكان البوسنة مسلمون لا يمكن أن يتحرّكوا بأوامر من الدول النصرانية ضد العثمانيين المسلمين، لذا كانت

إثارة سكان الجبل الأسود جنوب البوسنة. ووعدت الدول الأوربية الصرب وسكان الجبل الأسود بالدعم فإن انتصروا جاءت الجيوش الأوربية وقضت على العثمانيين، وإن انتصرت الدولة العثمانية عليهم وقفت الجيوش الروسية بجانبهم ونصرتهم على الأعداء، أما جيوش النمسا وألمانيا فلا يمكن وصولها لوجود البوسنة بالوسط، وبدأت الجيوش الروسية تتدفق سراً على بلاد الصرب والجبل الأسود، والحقيقة أن الروس هم الذي يُحاربون العثمانيين تحت اسم الصرب والجبل الأسود.

ووجد الصرب ذريعة للقتال ودخلوا أراضي الدولة فتصدّت لهم وهزمتهم وأصبح طريق بلغراد مفتوحاً أمام العثمانيين، وتدخّلت روسيا، واجتمع مندوبو دول أوربا في استانبول خوفاً من تفرّد روسيا بالغنيمة المرتقبة، وقدّم المندوبون اقتراحات للدولة، ولكنها رفضت.

أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية فجأة، ودخلت رومانيا، واجتازت نهر الدانوب، وانتصرت في عدة مواقع، هذا من جهة الشمال، وكذلك من جهة الشرق تقدّمت الجيوش الروسية، واحتلّت عدة مدن وقلاع ومنها (قارص)، ثم تراجعت

وانتصر العثمانيون في ستة مواقع، وجاءت النجدات للروس فانتصروا ثانية، وأعلن الصرب الحرب على الدولة العثمانية، وتابع سكان الجبل الأسود القتال، واحتلّ الروس (صوفيا) عاصمة بلغاريا، وتابعوا إلى (أدرنة) فدخلوها، واتجهوا نحو استانبول، وما شعر النصارى بانتصار الأوربيين حتى انقضوا يفتكون بالمسلمين. وأرسل الخليفة وفداً للصلح فتوقّف القتال في مطلع عام ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م) وعقدت معاهدة (سان استيفانوس) على بحر مرمرة قرب استانبول، وقدّم المندوب الروسي شروطاً مسبقاً، ولم يكن للعثمانيين الخيار فما كان سوى التوقيع، وأهم الشروط هي:

١- تحصل منطقة الجبل الأسود على الاستقلال، مع تعديل الحدود، وإذا حدث نزاع تحلّه النمسا وروسيا.

٢- تحصل إمارة الصرب على الاستقلال، وتضاف لها أراض جديدة.

٣- تحصل بلغاريا على الاستقلال الإداري، وتدفع جزيةً للدولة، ويكون الموظفون فيها من النصارى فقط، ويُخلي العثمانيون جنودهم من بلغاريا نهائياً.

٤- تحصل دولة رومانيا على الاستقلال التام.

٥- يتعهد الباب العالي بحماية الأرمن النصارى من الأكراد والشراكسة.

٦- يقوم الباب العالي بإصلاح أوضاع النصارى في جزيرة كريت.

٧- تدفع الدولة العثمانية غرامة حربية قدها (٣٤٥,٢١٧,٣٩١) ليرة ذهبية، ويمكن لروسيا أن تتسلم أراض مقابل هذا المبلغ.

٨- تبقى المضائق (البوسفور والدردنيل) مفتوحة للسفن الروسية أيام السلم والحرب.

٩- يمكن للمسلمين الذين يعيشون في الأراضي التي اقتطعت من الدولة العثمانية أن يبيعوا أملاكهم ويهاجروا إلى حيث يرون من مناطق الدولة العثمانية.

أما بقية الدول الأوربية فلم تكن على رأي واحد فبريطانيا تخشى من توسّع روسيا وامتدادها، والنمسا ترغب اقتسام الدولة العثمانية مع روسيا، وتعمل للسيطرة على البوسنة والوصول إلى (سالونيك) ودخول مياه البحر المتوسط، وألمانيا لا تبالي بالأمر، وتميل إلى موقف روسيا، وإيطاليا لا ترى لها مصلحة، وتقف فرنسا على الحياد.

مؤتمر برلين:

دعت النمسا إلى عقد مؤتمر في برلين إذ ترى ألمانيا أن تأخذ النمسا مقاطعة البوسنة، واشترطت بريطانيا إعادة النظر في معاهدة (سان استيفانوس)، واختلفت مع روسيا وكادت الحرب تقع بينهما، واضطرت روسيا للموافقة أمام إصرار بريطانيا ولأن المسلمين البلغار اعتصموا بالجبال وأخذوا يهاجمون القوات الروسية، وينتقمون من النصارى الذين فتكوا بهم سابقاً.

وعقدت معاهدة دفاعية سرية بين الدولة العثمانية وبريطانيا خوفاً من روسيا، وتنازلت الدولة العثمانية عن جزيرة قبرص.

ومن أهم مقررات مؤتمر برلين:

١- توسّعت بلاد الصرب على حساب بلغاريا.

٢- توسّعت حدود اليونان شمالاً على حساب ألبانيا.

٣- أعطيت البوسنة والهرسك للنمسا.

٤- أخذت روسيا مقاطعة بسارابيا من رومانيا، وأُعطيت رومانيا عوضاً عنها مقاطعة (دوبروجيه) وبعض الجزر.

ووُقّع على بنود المؤتمر في رجب ١٢٩٥هـ (تموز ١٨٧٨م).

وهكذا حصلت روسيا، والنمسا، وبريطانيا على أجزاء من الدولة العثمانية. كما توسّعت صربيا والجبل الأسود على حساب الألبان المسلمين.

كما هُجّر بعض السكان، فانتقلوا إلى تركيا.

وكان الصرب يطمعون بالحصول على البوسنة وكوسوفا غير أن النمسا قد ضمّت إليها البوسنة.

هذا بالنسبة إلى الأعمال الخارجية أما في الداخل فكانت نقمة الأقليات عامة واليهود خاصة على الخليفة عبدالحميد الثاني لتوجّهه نحو الإسلام ولوقوفه في وجه اليهود الذين اتجهوا نحو فلسطين لتحقيق أحلامهم فيها فتضافرت جهود الأعداء جميعاً ووصلت إليهم مساعدات الدول الكبرى فخلع الخليفة في ٧ ربيع الثاني ١٣٢٧هـ (٢٧ نيسان ١٩٠٩م).

وهكذا عاش المسلمون في البلقان مدة ١٥٦ سنة (١١٧١-١٣٢٧هـ) في خوف يتوقّعون الضربة تأتيهم في كل حين فالدولة المسلمة التي يتبعونها في مرحلة من الانحطاط تهاجمها الدول الأوربية النصرانية وتحرز النصر في كثير من المواقع، وهي حاقدة فقد تصبّ نقمتها في أي وقت والأمر ميسور، والشعوب النصرانية

المجاورة تتمرّد، وتحصل على النجاح في بعض الحركات، وهي مشحونة حقداً ممتلئة ضغينة تنتظر الفرصة لتفرغ شيئاً مما تحمله من غلّ على المسلمين كحكام وكجوار، ولولا هيبة الدولة العثمانية في أعين الدول المعتدية، وفي نظر الشعوب المتمرّدة، إذ لا تزال الدولة تصدّ الاعتداء بهجوم وقد تنتصر، وتردّ على الضربة بمثلها وقد تفوز إذ لا تزال الروح المعنوية جيدة، كما تقمع التمرّد ولكن تعالج الأمور بلين وحذر حتى لا تفسح المجال للدول الأوربية النصرانية بالتدخّل ومساعدة الثائرين. فلولا هذه الهيبة ورجحان الكفة العسكرية أحياناً وردّ الصاع بمثله لبدأت حرب إبادة المسلمين في البلقان منذ تلك المرحلة، وإن عاشوا بمحنة، فالخوف يخيم على الأجواء، وإنزال النقمة متوقع بعد كل نجاح يحرزه النصارى الحاقدون.